الباب الثامن : أمثلة على التمدد الايراني

أهم الدول التي يستهدفها التشييع الممنهج:

نلحظ أن عملية التشييع التي ترعاها طهران والمدن الرئيسة ذات القداسة لدى الشيعة الإمامية في إيران والعراق والتي تعد في الوقت عينه الوثر في صناعة قرار الانتشار الشيعي في العالم لا تتم بشكل عشوائي أو تنطلق من أهداف دينية محضة بمعنى أنها ليست مأخوذة فقط رغبة في رضا الله سبحانه بحمل المسلمين على التشيع وفقاً للتسمية الحديثة واعتناق مذهب آل البيت إنما يبدو الدافع السياسي والقومي الفارسي جلياً في تحريك عملية التشييع حول العالم طبقاً لخطة دقيقة تحتفظ بطموحات تتجاوز هداية الحيارى وترمي إلى تحقيق سيادة واضحة للفكرة الشيعية الرافد المتاح لإحياء الفارسية التي غيب الإسلام إمبراطوريتها المجوسيةً، حيث لم يعد متاحاً إلا اتخاذ التشيع ونشره لجة للعبور إلى شاطئ السيادة الامبراطورية واختيار المناطق التي يحظى التشييع فيها بجهد مضاعف مبني على أسس سياسية واقتصادية خادمة للحلم الإمبراطوري أكثر من كونه استهدافاً روحياً وعظات

دينية ودعوة مجردة من حظوظ الدنيا، لكن ما يجب النظر إليه بعين مبصرة، هو تلك الدول التي وفرت لها آلة التشييع العالمية دعماً أكبر واهتماماً فريداً عن غيرها من خارطة الاستهداف، ومن بينها الدول التالية:

إيران : تأخذ عملية التشييع الجارية في إيران طابعاً مختلفاً عن غيرها في سائر البلدان السنية باستثناء العراق نوعاً ما تتميز به عن الأخريات باتسامها بالنمط القسري للتشييع الذي يتراجع فيه شكل التشييع مقارنة بالأسلوب القهري المبني على حرمان المسلمين السنة من حقوقهم الأساسية لاسيما ما يتعلق بالشعائر الدينية لإفساح المجال لنشر التشييع في أوساطهم ولعل سياسة التشييع في إيران تختلف عن غيرها من البلدان في العالم الإسلامي الذي ينشط فيه أنصار ثورة الخميني وعقيدتها الإمامية في كونها تعنى بتأمين الجبهة الداخلية للدولة الأولى الحاضنة والمسؤولة عن الشيعة في العالم، حيث تدرك أوساط الشيعة صاحبة التأثير في القرارات الإدارية في إيران أن ترك الأقليات غير الشيعية آمنة على دينها الإسلامي وسنيتها مدعاة لانتشار السنة في القومية الفارسية وغيرها بما يهدد تماسك الدولة الإيرانية في ثوبها الطائفي الراهن وما يرشح من الأنباء الشحيحة الواردة من داخل إيران يشي بأن طهران لديها رهاب كبير من انتشار التسنن بين الأقليات

الشيعية غير الفارسية علاوة على ازدياد وعي السنة في إيران بضرورة مباشرة دور أكبر في الدفاع عن حقوقهم الدينية والمعيشية السليبة، ومن تلك الأنباء التي تصل أصداؤها خارج إيران ما تؤكده أوساط أحوازية كثيرة، بعضها أفاد بشكل مباشر أن الدعوة السنية آخذة في التصاعد بشكل هائل في الأحواز من الشيعة الإمامية العربية التي تعاني من اضطهاد مستمر.

ويعكس ما تقدم، إقدام النظام الإيراني على افتتاح أكبر وأضخم مدرسة لنشر التشيع في مدينة المحمرة العربية بالأحواز المحتلة ، في مقابل قيامه باقتحام مسجد الإمام الشافعي الواقع في قصبة النصار بالقرب من مدينة عبادان، وهو آخر مسجد لأهل السنة في الأحواز بعد أن دمر الاحتلال الفارسي جميع المساجد.

عشرات الآلاف عادوا إلى الإسلام النقي السني في مناطق الأحواز، والبعض يقدرهم بنحو مليون أحوازي، وثمة صحوة في إقليم سيستان بلوشستان السني، حديا بالسلطات الإيرانية إلى الدفع بما قال المصدر السابق ذاته بآلاف من العلماء والدعاة لنشر التشيع في الأحواز بعد انتشار دخول الأحوازيين في أهل السنة، وأن تنفق ملايين الدولارات وتؤسس أماكن سكن لهؤلاء الدعاة، علاوة على بناء آلاف المستوطنات و جلب آلاف العائلات من الفرس وإسكانهم وتوفير فرص عمل لهم في

الأحواز والأمر ذاته ينسحب على أقاليم ومناطق كردستان وخراسان وهرمزان حيث تمارس سياسة التشييع تحت طائلة القهر والتهجير القسري للسنة والاستيطان الشيعي في مناطق السنة، وتحديد النسل للسنة والإفقار المتعمد بما يفضي إلى إضعاف السنة ودعم الشيعة في مناطق السنة والتشجيع على التشيع ولو تحت ضغط الحاجة والخروج من دائرة الاضطهاد.

أندونيسيا : مثلما اتجهت الولايات المتحدة إلى أطراف العالم الإسلامي، لاسيما إندونيسيا؛ فإن إيران فعلت الشيء ذاته باهتمامها بهذا البلد الإسلامي الأكبر من حيث الكثافة السكانية، وعمدت إلى إرسال دعاة شيعة إليها وتحديداً في مناطق لامبوننج، وبسولاويسي جنوب الشرقية، وبونجيت جاكرتا،وبينجكولو وسومطرة الجنوبية،والشمالية، وكاليمانتان الغربية،وغيرها، وابتعاث الطلبة إلى إيران لتغيير قناعاتهم، ونشر الكتب التي تروج للتشيع مثل كتاب المراجعات وليالي بيشاور وقد طبع منها أكثر من مليون نسخة باللغة الاندونيسية، والانتشار المقنن في جامعات مختلفة مثل الجامعة الإسلامية الحكومية، وجامعة المحمدية ، وجامعة مالاحياتي باندر لامبونج، وجامعة 19 نوفيمبر بمدينة كولاكا وجامعة لاكي ديندي بكوناوي كما تعمل جمعيات الطلاب الشيعية على نشر التشيع من خلال الندوات والدورات، وتوزيع المجلات مثل مجلة القدس

وغيرها، والكتب التي تتحدث عن مناظرات شيعية سنية مختلقة والواقع أن الأثر الذي تركه التشييع عميقاً في تربة أندونيسيا حيث تتحدث بعض المصادر عن ملايين قد تشيعوا في أرخبيل إندونيسيا ما سيكون له انعكاس كبير على المنطقة لاسيما أن التغيير الأيديولوجي للمسلمين يقوم به إلى جوار الشيعة فريق مدرب من الليبراليين العرب هناك.

السودان : العمل الشيعي في السودان بدأ بالمنح للدراسة في طهران ثم تطور إلى ما يعرف بالمراكز الثقافية الإيرانية وبعد ذلك أنشأت السفارة الإيرانية جمعية الصداقة الإيرانية السودانية وأصبح للشيعة في السودان العديد من المراكز الرسمية سوى المراكز السابقة مثل المكتبات العامة والمدارس والمعاهد وبعض المؤسسات الاقتصادية وهذا كله تحت مظلة القانون والواقع أن السودان احتل مكانة هامة لدى مخططي تصدير الثورة الإيرانية كمعبر بالغ الأهمية لاختراق أفريقيا ونشر أي أيديولوجية فيها، حتى قبل أن يلجأ الزعيم السوداني حسن الترابي إلى إيران لفك حصار ضربه نظام كلينتون الأمريكي ورغم تحقيق عملية التشييع نجاح ملموس في الفترات الماضية، إلا أن حدة نشاطها قد تراجعت قليلاً إلى حد ما مع ازدياد الوعي الثقافي بمخاطر التشيع لدى السودانيين، لكن اتساع مساحة السودان تحرر كثيراً دعاة التشييع من

القيود الرسمية وتمنحهم هامشاً واسعاً للتحرك بلا رقيب تقريباً لاسيما في المناطق النائية.

تركيا : برغم أن معظم شيعة تركيا من النصيريين العلويين إلا أن خبرة الإيرانيين في التقارب مع نصيرية سوريا ونشر التشيع بينهم يمكن استنساخها ولو بقدر ما في تركيا، ولعل العلاقات الإيرانية التركية الآخذة في التحسن مع اتخاذ أنقرة موقفاً متعاطفاً مع طهران في الأزمة النووية قد يمنح الأخيرة مساحة للتمدد الحذر، وكونه كذلك، نابع من أمرين، الأول هو التاريخ العثماني الذي يجري التنقيب فيه حالياً في ظل حكومة العدالة والتنمية يستجلب معه الثارات التاريخية بين الخلافة العثمانية والدولة الصفوية، والثاني يتعلق بالتباين بين شيعتي تركيا وإيران، فلقد أدى المذهب العلوي المختلف عن الاثني عشرية السائدة في إيران إلى فجوة كبيرة بين الشيعة الأتراك وإيران، بالإضافة إلى العامل الجغرافي السياسي مما جعل الشيعة في تركيا مسألة تركية لا تشكل امتداداً سياسياً وأيديولوجياً لإيران كما هي الحال في أفغانستان والعراق على سبيل المثال بيد أن الخطورة تعود إلى النجاح النسبي الحاصل الآن على أرض الواقع فيما يخص عملية التشييع، التي قد تقلب الموازين إذا ما نجحت إيران حقيقة في اختراق العلويين العلمانيين، الذين لكثير منهم تحفظاتهم على حكومة العدالة ذات الجذور الإسلامية.

اليمن :التشيع طارئ على اليمن لكنه الآن صاعد بقوة إثر نجاح الإمامية في اختراق النسيج الزيدي بشكل كبير، مع الانفتاح الذي عاشه اليمن بعد تحقيق الوحدة سنة 1990، وتحسن علاقات إيران بالدول العربية، والكره الذي يكنه قادة الزيدية في اليمن للثورة اليمنية، التي همشتهم وقللت نفوذهم والواضح أن هذا الاختراق لم يعد هامشياً مثلما كان يظن خلال الأعوام الماضية؛ إذ مع اندلاع الحرب السادسة بين التمرد الحوثي الموالي لإيران والدولة اليمنية، تبين أن قطاع عريض من الزيديين ومشايخهم قد انتقلت إلى صف الإمامية وأضحت خصماً من رصيد الدولة لحساب التمرد الحوثي، الذي تقول بعض المصادر إن عدد قواته فقط بلغ ما يناهز سبعين ألفاً، هذا بخلاف القبائل المتعاطفة والأحزاب الموالية له بشكل غير مباشر.

غانا : أنشئت الجامعة الإسلامية عام 1999 كإحدى أهم أدوات التشييع في غانا، وحصدت من خلالها آلاف من الخريجين على دفعات، ساهموا بشكل كبير في نشر التشييع في ربوع غانا، حتى خرص بعض الغانيين عدد الشيعة في غانا بنحو مليون متشيع، من دون أن تعزز ذلك معلومات دقيقة موثقة، إلا أن التأثير المتوقع للعديد من المدارس والمستشفيات شبه المجانية، ودورات الابتعاث الرخيصة إلى إيران، وتدريب الدعاة الشيعة هناك،والإنفاق الكبير الذي توليه إيران لإحدى

دول الذهب ووريثه الامبراطورية الغانية الشاسعة قبل قرون، تشي بأن الرقم المذكور ربما يعبر عن حجم جهد التشييع ولو لم يكن دقيقاً بطبيعة الحال والأخطر في غانا وما حولها من الدول أن إيران تمد إليها نفوذاً دون أدنى مقاومة تقريباً، وتجد الطريق معبداً لنشر معتقدها في الغرب الأفريقي الواعد.

عشرات الفضائيات الطائفية، ومئات المؤسسات، وآلاف الحسينيات والاحتفالات، تحتضنها سياسة توسعية ترى في التشييع وسيلة لحفظ الثورة ومنع تفكك فسيفساء المكون الاجتماعي الإيراني، وتحفزها رؤية عقدية تجيش كل إمكاناتها لنشر فكرتها في الداخل الإسلامي، وهي غير معنية على الدوام بانتشار أفكارها لدى أصحاب العقائد والملل والنحل غير الحيز الإسلامي وحده، وهو ما يعني أن تلك الجهود محصورة بين ملياري مسلم حول العالم دون غيرهم.

جهات الإنفاق عديدة ومتنوعة لعشرات المليارات من الدولارات التي ضخت لتصدير الثورة ونشر عقيدتها في العالم الإسلامي على مدى السنوات الثلاثين التي تلت الثورة الإيرانية،أخذت فيها استراتيجية التمدد والتبشير والهيمنة مناحي مختلفة، ومرت بأطوار تناسبت في وتائرها مع المد والجزر في السياسة الإيرانية الخارجية التي ارتبطت في سني ثورة الخميني الأولى بمرحلة من المد الثوري المتسم بالصدام مع

الأنظمة والحكومات الإسلامية وتأييد حركات المعارضة الإسلامية التي ابتلع معظمها الطعم الإيراني، واستخدمت إيران المؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة وأسابيع الوحدة الإسلامية، والاحتفالات السنوية بيوم القدس ومؤسستي الشهيد والمستضعفين، ومنظمة العلماء المجاهدين، كآليات لتعبئة رجال دين وكتاب ومفكرين وقياديين إسلاميين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، لتلقينهم عقائديا والتأثير عليهم فكريا، بما يتفق مع أفكار الثورة الإيرانية ومصالح الجمهورية الإسلامية كما وظفت الثورة الإيرانية اللجنة الدائمة للحج، ومكتب الدعوة الإسلامية كمؤسستين حكوميتين لتصدير فكر الثورة الإيرانية وتوسيع تأثيرها الخارجي وقد جاءت تصريحات لعدة مسئولين إيرانيين لتؤكد أن إيران لن تأمن من مؤامرات الدول الكبرى إلا إذا حدثت ثورات مماثلة في العالم الإسلامي ووعدت بمساعدة كل حركات التحرير والحركات الإسلامية الراديكالية في أي مكان في العالم ثم انكمشت إيران الثورة خارجياً بعد هزيمتها من العراق عام 1988 لتبدأ مرحلة من المد الدعوي الهادئ الذي شهد إقالة آية الله علي منتظري من خلافة الخميني والإطاحة برئيس الوزراء مير موسوي وهما من أبرز دعاة تصدير الثورة ليمثل انحساراً لتلك الدعوة إلى حد ما إلى أن عادت للظهور بشكل جديد مع تولي خاتمي رئاسة الجمهورية، ثم تأخذ منحى تصاعدياً هائلاً في عهد

نجاد وتعود إلى نمط مكتوم من الثورية الرمادية التي تتحين الظرف الملائم لنقل التمدد الناعم إلى الثوري من جديد.

لكن حتى تبدو الفرصة مواتية بشكل مناسب؛ فإن نشر التشيع واستقطاب الأتباع جارٍ على قدم وساق في العالم الإسلامي، وقد طورت فعلها بالخروج كثيراً من زاوية التقية إلى إعلان أهدافها ومطالبها بشكل صريح وواضح مستفيداً من الهامش المتاح الذي وفره احتلال العراق وأفغانستان وضيقه نوعاً ما المشروع النووي الإيراني وقسمات المرحلة تفرض على واضعي سياسة التشييع في عالمنا الإسلامي عدم اتخاذ سياسة موحدة يتم فرضها على كل الشرائح والشعوب المستهدفة، فما يصلح لهذا البلد لا يوافق ذاك، غير أن القاسم الوحيد المشترك في الحاكم لكل السياسات المنفذة من جاكرتا إلى نواكشوط هو ضرورة استغلال تلك الفترة الزمنية التي يعاني فيها العالم الإسلامي السني من ضعف شديد يحول بينه وبين والقيام بمجابهة الزحف الشيعي، وملء الفراغ الناشئ عن غياب وتغييب المؤسسات السنية العاملة في نطاق الدعوة الإسلامية، واتخاذ السلطات في معظم الدول العربية والإسلامية سياسة مترددة حذرة إزاء الأنشطة غير البريئة التي تجري على أراضيها، وتخوف تلك السلطات من ضغوط نجحت إيران في فرضها عبر الحكومات والمؤسسات الدولية الحقوقية وغير الحقوقية التي تكبح

جماح أي سياسة مضادة، وإعطاء الغرب الضوء الأخضر أو إقامة شراكات أفريقية وآسيوية تظلل عمليات التشييع التي لا تنظر كثير من حكومات تلك الدول البراجماتية لها بارتياب نظراً لأن إيران نجحت في صبغ مشكلة الإرهاب العالمية بلون سني بخلاف فترة ثمانينات القرن الماضي على سبيل المثال، ثم تصعيد أصوات الأقليات الطائفية مع استراتيجيات غربية لا تخبئ رغبتها في تفكيك الدول العربية والإسلامية بأكثر مما هي عليه الآن وتتنوع الآليات بدءاً من حضور المؤتمرات الإسلامية المجمعة وانتهاءً بالمعارضات المسلحة والثورات والاضطرابات ومعاونة المحتل بشكل مباشر كالعراق أو التمهيد له كما في بعض دول الخليج التي قد تتعرض لموجة احتلال شرقي هذه المرة ليست أمريكية أو أوروبية، وتحمل في حقيبتها استقطاباً مالياً وآخر أخلاقياً لبعض وجهاء المجتمعات العربية وقادة الرأي، وإغراء الفقراء بالمال، وقيادة الدراويش بالاحتفالات الدينية التي لا تنقطع، وعلاج المرضى في المستشفيات وإقامة المدارس والجامعات في أفريقيا وآسيا الفقيرتين، وتشكيك المثقفين والجماهير فى الصحابة ومن ثم الفكر السني برمته، ومروراً بطرق تغيير التركيبة الديموجرافية للبلدان السنية عبر الهجرة إليها كما في الحالة العراقية التي تدفق عليها مئات الآلاف من الإيرانيين بعد الغزو تشير بعض التقارير الصحفية إلى أن الرقم

يتجاوز حدود الملايين إيراني عبروا من خلال الحدود المفتوحة بين إيران وعراق الحكم الشيعي، وكما في إيران ذاته التي حدث فيها طمس نقاء الانتماء السني في مناطق السنة الخالصة بالتوطين والهجرة التي أوعزت بها الدولة إلى أبناء طائفتها، وتدفق العمالة الشيعية إلى الخليج بغزارة بحيث اختلت التركيبة السكانية وأحدثت إيران مشكلة أقلية في عدد من دول الخليج لم تكن موجودة من قبل، والتجنيس وهي مسألة بعيدة زمنياً بعض الشيء ، وإقامة تجمعات سكنية خاصة بهم سواء أكانوا من أبناء البلدان الأصليين كما في بعض حالات الخليج، أو لاجئين أو مهاجرين كما في بلدان كمصر وسوريا والسنغال ونيجيريا وغيرها.

وفي كل ذلك يجري العمل على إيجاد قواسم مشتركة مع كل القوى الرسمية وغير الرسمية في البلدان الإسلامية تمنح دعاتها نفوذاً وتأثيراً؛ فعملية التشييع أوجدت لها مشتركات ـ على سبيل المثال ـ مع بعض الطرق الصوفية باسم حب الأولياء والأشراف، والليبراليين باسم التحرر من النظم السلطوية ومحاولة تقديم إيران كنموذج ديمقراطي رغم ثيوقراطيته الواضحة التي لا يراها المتعاطفون معها والناصريين في مصر باسم الثورة على الظلم التي منحت الخميني قبل الثورة تعاطفاً مع الرئيس المصري الراحل، واليساريين عموماً باسم رفض الامبريالية الغربية والوقوف في وجه الشيطان الأكبر وإن تراجعت تلك التسمية

كثيراً مع خروج العلاقة الأمريكية الإيرانية إلى مرحلة العلن، وتقدم للإسلاميين المقاومين السند المعنوي والمادي باسم الوقوف ضد أعداء الإسلام من الصهاينة وغيرهم وهكذا .

مصر: يعد التشيع في مصر دخيل عليها فمصر على مذهب أهل السنة لكن أهميتها والثقل الذي تتمتع به في العالم العربي والإسلامي جعل الشيعة يتجهون صوبها فينشرون مذهبهم هناك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ونتج عن هذه الجهود الشيعية قيام أعداد قليلة لا تذكر من المصريين باعتناق التشيع وهم يسعون إلى إقامة المؤسسات الشيعية ونشر فكرهم بكل ما أوتوا من قوة وقد ساعدهم في ذلك الانفتاح الذي تظاهرت به إيران بعد وفاة الخميني كما أن توقف الحرب العراقية الإيرانية التي كانت مصر تقف فيها إلى جانب العراق قد ساهم في بروز هذا التيار المتشيع وهو الأمر الذي يوجب حذر أهل السنة من المخططات الشيعية التي لا تكتفي بالبلدان التي يوجد فيها عدد كبير من الشيعة إنما صارت تمتد وتنتشر إلى مجتمعات سنّية صرفة ونجحت مصر في الصمود أمام المغريات الإيرانية ويبدو أن المصريين كانوا على علم مسبق بنوايا الساسة الكبار في إيران، وكذلك على علم مسبق بالمخطط الإيراني الكبير الذي يريد العبث بالدول العربية ولمصلحة المشروع الإيراني، لكن هذا لا يعني أن مصر مغلقة أمام النفوذ الإيراني، فلقد

وردت بعض التقارير السرية والعلنيّة التي أكدت أن السفارة العراقية في القاهرة قامت وتقوم بدورها في هذا المخطط أي تعمل رديفا للسفارة الإيرانية وملحقاتها في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، ومن خلال بعض الدبلوماسيين والموظفين الذين عُينوا لهذه المهمة وأصبحوا يعملون بتوجيهات من قادة الأحزاب العراقية التي توالي إيران، ولقد تم إرسالهم الى القاهرة وبعض العواصم العربية لهذا الغرض، ناهيك على أن هناك زيارات مكوكية لمصر يقوم بها بعض الرجال من الوزن الثقيل عربا وفرسا وغيرهم، وكذلك الذين يحملون جوازات أوروبية وأمريكية وهم عرب من العراق والبحرين ولبنان وبعض دول الخليج ويتحركون ضمن الدعم المادي واللوجستي الإيراني، وحتى من الإيرانيين الذين يجيدون اللغة العربية من حملة جوازات السفر الأجنبية، حيث نجحوا فى تأسيس ركائز المشروع الإيراني في مصر وكثير من الدول العربية ، فقاموا بتنظيم نواة شيعية داخل الجسد المصري،وداخل الجسد الجزائري والتونسي والسوداني، وأخيرا داخل الجسد الصومالي، ناهيك أن هناك قيادة إيرانية تقوم بقيادة الحوثيين للقيام بالهجمات تارة ضد السلطات اليمنية وتارة أخرى ضد السعودية وقد تمكنوا من شراء بعض الأقلام والحناجر اليمنية التي أخذت تشيع بأن هناك خطراً وتدخلاً ليبيا في اليمن، والهدف هو إبعاد الشبهة عن إيران من جهة ، وجر السعودية

للخلاف والتصادم مع ليبيا من جهة أخرى أما البعثات السرية التي تصل من مصر ودول المغرب إلى طهران ومدينة قم تحديداً فهي في ازدياد مضطرد، وقدومهم واضح وهو من أجل الدورات السريعة والدراسات الخاصة والانغماس والانتماء للمشروع الإيراني، وأصبحت مسئولية البعثات السرية إلى طهران أو الشخصيات أو المجموعات نشر ما يطلبه منهم أسيادهم في إيران، وبحجة نشر التشيع في هذه الدول وحتى بين الجاليات العربية في أوروبا وكندا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية.

سوريا: تخلّى النظام السوريّ عن أشقائه العرب، لاسيما المملكة العربية السعودية ومصر والأردن،ليستقر من خلال حلفٍ طائفيٍّ مريبٍ في حضن إيران، وقد أخذت إيران هذه الأيام تلعب بالورقة السورية ببراعة، دون أن يستطيع النظام الحاكم في دمشق التحرّر من إرادة طهران، وقد عزّزت سياسات القطيعة التي ينتهجها النظام مع الدول العربية عزلَ سوريا عن محيطها العربيّ، دافعةً لها أكثر وأكثر في حضن إيرانّ بأبعاده الإستراتيجية والاقتصادية والمذهبية، مما يشكّل أكبر خطرٍ على المنطقة، خاصةٍ الدول العربية المحيطة:

1- من الناحية السياسية الاستراتيجية، أصبح الموقف السوريّ تابعاً بشكلٍ مباشر للمشروع الإيرانيّ، وأصبحت السياسة الخارجية السورية في السنوات الأخيرة جزءاً من السياسة الإيرانية التي تُرسَم في طهران.

2- من الناحية العسكرية، تشارك بعض الوحدات العسكرية الإيرانية، في بناء القوات المسلحة السورية وقيادتها، لاسيما في وحدات الصواريخ بمحيط دمشق، وعلى طول المسافة ما بين دمشق والحدود مع الكيان الصهيونيّ.

3- من الناحية الأمنيّة الاستخباراتيّة، فقد توسّعت كثيراً دائرةُ العلاقات الاستخباراتية بين الطرفين، وازدادت أعداد فرق الأمن الإيراني في الحرس الجمهوريّ السوريّ، واشتدّ التنسيق الأمنيّ بين الطرفين في القضايا المشتركة، علماً بأنّ أصل الوجود الإيرانيّ في سورية هو وجود أمنيّ يجتاح الحوزات والحسينيات والمزارات والمؤسّسات الخيرية والثقافية والطبية والإغاثية، التي أنشأها الإيرانيون برعاية النظام السوري والسفارة الإيرانية بدمشق.

4- من الناحية الاقتصاديّة، يتغلغل الإيرانيون والشيعة العراقيون في مفاصل مهمةٍ للاقتصاد السوريّ،عن طريق الاستثمارات الكبرى كصناعات السيارات، والأسمنت، والحديد، والنقل البحري، والنقل الداخلي ويرتبط هذا التغلغل الاقتصاديّ بدوافع مذهبيةٍ واضحة، إذ يقوم هؤلاء بشراء العقارات في الأسواق، حول المعالم الرئيسية والهامة،

كالمسجد الأمويّ في دمشق يساعدهم على ذلك مُناخ الفساد الاقتصاديّ والإداريّ لمؤسّسات النظام ورجاله.

5- من الناحية الدينية ،هناك تحرّكات محمومة إيرانية، بتغطية النظام الحاكم، لتشييع المسلمين السنة الذين يمثّلون الأكثرية فى سورية، أو لاختراقهم بقيادة السفير الإيرانيّ بدمشق، وبجهود بعض المرجعيات الشيعية الفارسية.

6- من الناحية الاجتماعية والديموجرافية، فقد قام النظام الحاكم بمنح الجنسية السورية لأعدادٍ كبيرةٍ من الإيرانيين والعراقيين الشيعة، وبعض المصادر قدّرت عدد هؤلاء بعشرات الآلاف، خطوةً أولى، ضمن مخطّطٍ واضحٍ لخلخلة التركيبة السكانية ذات الأكثرية الكاثرة السنيّة، كما تم منح كثيرٍ من هؤلاء أراضٍ من أملاك الدولة، وتم عن طريقهم شراءُ مراكز تجاريةً هامةً وفنادق ومطاعم وشركاتٍ صناعيةً وتجارية، وهم يمارسون من خلال ذلك دوراً مزدوجاً تجارياً-أمنياً.

إن المشروع الإيراني أصبح خطراً حقيقياً يهدّد بنية المجتمع السوريّ،ويثير العديد من المخاطر على مستقبل سورية والبلدان العربية الشقيقة، بتحويل سورية إلى بقعة ارتكاز، لتهديد دول المنطقة كلها، والتغلغل فيها، وإثارة النعرات الطائفية والقومية، ما يسمح لقادة الشيعة

بالتهديد دائماً، عن طريق صنع قواعدهم التي تأتمر بأمرهم داخل كل قطر، علماً بأنّ أحلامهم في السيطرة والنفوذ تمتدّ من بحر قزوين إلى البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربيّ وارتباط الشيعة بقياداتهم الدينية على مبدأ الوليّ الفقيه الإيرانيّ الفارسيّ، يجعل منهم جنوداً مباشرين لإيران، تُزعزع بهم استقرارَ هذه الدول، وتثير فيها الاضطرابات والنعرات الطائفية في الوقت الذي تختاره، دعماً لمصالحها السياسية والقومية على حساب العرب والمسلمين.

التمدد الإيراني ودول الخليج العربي

تغير الوضع الجيوسياسي والإستراتيجي في المنطقة الممتدة من شواطئ لبنان على البحر المتوسط وحتى شواطئ اليمن على بحر العرب والبحر الأحمر، ومن الجولان المحتل وحتى طول سواحل الخليج العربي ومنها بالطبع حدود العراق إيران، لصالح قوة إيران المتنامية، سواء من الناحية الأيديولوجية أو من ناحية النفوذ الأمني للدول الموجودة ضمن هذا المجال الحيوي، بغض النظر عن حجم استقلالها وقوة حكوماتها.

ورغم معرفة حكومات دول في المنطقة مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة بخطورة التمدد الإيراني العلني والمباشر ضمن محيط أمنها القومي، فإنها لم تحرك كثيراً من إستراتيجياتها الساكنة لمواجهة هذا الأمر، بل إن ما يزيد الطين بلة هو أنها أوجدت

لنفسها أعداء جدد كان من أبرزهم تنظيم الإخوان المسلمين بشكل مطلق وتنظيم الدولة الإسلامية، ناهيك عن تنظيمات وقوى أخرى معظمها إسلامي وعلى هذا الأساس؛ فإن الدول اعتبرت في مواقع معينة وجود إيران عاملاً مساعداً للقضاء على القوى الإسلامية وقواعدها الشعبية، كما حدث في اليمن على سبيل المثال، ويحدث في العراق وسبب عدم دعم القوى المناهضة للتدخل الإيراني في العراق هو الخشية من أن تكون هذه القوى مرتبطة بشكل أو بآخر بتنظيم الإخوان المسلمين.

إن قصور الفكر الإستراتيجي لدول المنطقة وتحديدا دول الخليج العربي يجعل موضوع التمدد الإيراني مثاراً لجدل كبير بين أوساط شعوب المنطقة، خاصة في الوقت الذي أصبحت فيه التنظيمات الموالية لإيران تمارس التخريب والقتل في دول عربية كانت إلى وقت قريب تمثّل بوابات منيعة أمام مشروع إيران الكبير الذي أسسه الخميني منذ أكثر من 35 عاماً كالعراق واليمن والبحرين والإمارات وغيرها، تضاف إليها أيضاً بوابات الإعلام التي جندتها إيران لصالح نشر الفكر العقائدي المذهبي الطائفي في الدول العربية دون أي رد فعل عربي خليجي تحديداً وتشير المصادر إلى وجود أكثر من 40 قناة فضائية تبث عبر القمرين نايل سات وعرب سات، وأن هناك حملات إعلامية منظمة للتأثير على النشء الجديد من خلال إنتاج وتسويق برامج وأفلام ومواد ترفيه وتعليم

وتراث عبر هذه القنوات، بينما أغلقت الدول الخليجية قنوات عربية إسلامية كثيرة كانت تقدم جرعات معقولة من مضادات الفكر لمواجهة تلك القنوات الإيرانية.

التغلغل الصفوي في دول المغرب العربي

أما في دول المغرب العربي فقد قال رئيس لجنة الأوقاف بالمؤتمر الوطني الليبي يوم 2012/12/13 لصفحة أجواء لبلاد الإخبارية إن هناك بعض الدعاة إلى التشيع يقومون بشراء أراضي باسم الحوزة الشيعية في ليبيا، مشيرا إلى أنهم يهدفون إلى تأسيس مؤسسات ومراكز للتشيع ، وأنه تم بالفعل استقطاب بعض الشباب إلى دول مثل إيران من أجل تعليمهم التشيع وفي تونس أصدرت يوم22 /8/ 2012 جمعية الرابطة التونسية لمناهضة المدالشيعي في تونس بيانا دعت فيه الحكومة إلى قطع علاقتها الثقافية مع ايران والاسراع فورا بغلق المركز الثقافي الايراني الذي يعمل على نشر التشيع .

كذلك اتهم مسؤول جبهة الصحوة الحرة الإسلامية ،في مقابلة مع صحيفة البلاد الجزائرية يوم 2014/9/22 وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بالتقصير في محاربة الشيعة والتشيع في الجزائر وأن السفارة الإيرانية في الجزائر، تضخ أموالا ضخمة لنشر التشيع أما في

المغرب فيوجد حوالي 8 ألاف شيعي كما أشار التقرير الأميركي، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية حول الحريات الدينية سنة 2008 رغم أن الدولة قامت في الآونة الأخيرة بمحاربة أصحاب المد الشيعي، بمجرد أن توترت العلاقات الدبلوماسية المغربية الإيرانية وتقول شبكة الكفيل الموالية لإيران الصادرة بتاريخ:2014/3/9 إن عدد الشيعة في موريتانيا وصل إلى 1,5% أي ما يناهز 50 الفا من تعداد السكان سنة 2011، وأن انتشار مذهب أهل البيت حالة حتمية سيؤول إليها أمر البشرية لا محالة، وان مسألة تحقيقها أمر بات قريبا، لأسباب كثيرة، من أبرزها الفكر الضخم والاطروحة المفعمة بعلاج المشاكل البشرية المزمنة ، غيرأن هذا لايخلو من المبالغة والحق أنه من الخطإ اعتبار ظاهرة التشيع الصفوي حالة عابرة ليس لها تأثير على المقومات العقائدية والدينية للمجتمع الموريتاني فهناك وسائل تستعمل في هذا التغلغل مرتبطة بالجانب المادي وأخرى بجانب الإغراء فضلاً عن طرح شبه فكرية عقائدية تشكك في صحة ما عليه أهل السنة من الحق ، ويشكل زواج المتعة المتفشي عندهم وسيلة أخرى لا تقل خطورة عن سابقاتها في الفتك بالشباب ، خصوصاً أن الشيعة الصفوية في موريتانيا صلاتها قوية بالدول والمنظمات الراعية لها .

آثار تمدّد المشروع الصفويّ الفارسيّ:

وقد ترك التمدد الفارسى الشيعى الصفوى آثاراً فى البلاد التى نجح فى تشييع بعض أهلها منها :

1- تعزيز مكانة الأقليات الشيعية ودورها في العالمَيْن العربيّ والإسلاميّ ، ودعمها بالمال والمواقف، وتحريضها على الفتنة والثورة: لبنان، والبحرين، واليمن، والكويت، والإمارات، ومصر، والمغرب، والمملكة العربية السعودية.

2- غرس أقلياتٍ شيعيةٍ في الدول التي لا يوجد فيها شيعة اثنا عشرية من قبل، من مثل: مصر والسودان وسورية والأردن والمغرب ودول جنوبيّ شرق آسيا.

3- بناء المشاهد والحسينيات والمزارات في مواطن ليس فيها شيعة، وافتعال مواقع وربطها بآل البيت، كما يحصل في سوريا.

4- ما يجري على أرض العراق المحتَلّ أميركياً وإيرانياً بكل أبعاده وما ينفّذه حزب الله في لبنان بكل تفاصيله.

5- ظهور الخطاب الشيعيّ الإعلاميّ التبشيريّ بشكلٍ سافر، عبر كل وسائل الإعلام الحديثة المعروفة.

obeikandl.com